حكمة النســاء

قالــ أبو الوفاء بن عقيل:

كان بعض قضاة الحنفية إذا ارتاب بالشهود فرّقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء، فأراد أن يفرق بين المرأتين كعادته..

فقالت إحداهما: أخطأت لأن الله تعالى قال ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ (البقرة: 282).

فإذا فرقت زال المعنى الذي قصده الشرع .. فأمسك.

عن عبد الملك بن مروان، وكان في عزّ شبابه وكاملِ صحته وأوج سلطانه.. دخلت عليه ليلى الأخيليّة يوماً بعدَ أن أسنّت وعجزت.

فقالَ لها مُمازحاً: ما رأى توبةُ بن الحميّر فيكِ حينَ هواك؟

فقالت: ما رآه الناسُ فيكَ حينَ ولّوك.

فضحِكَ عبد الملكِ حتّى بدت له سِنٌ سوداء كان يخفيها.

مرت امرأة حسناء على قوم من بني نمير يتسامرون، فقال منهم قائلٌ: انظروا لهذه المرأة كم هي جميلة، لم أر مثلها في حياتي قط، فقالت لهم: ويحكم يا بني نمير، لم تمتثلوا فيّ واحدةً من اثنتين، لا قول الله عز وجل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور: 30)، ولا قول جرير:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّك من نُمَيْرٍ فلا كعْباً بلغتَ ولا كِلابا

فلم يستطع أحد أن يرد عليها.

وقفت امرأة قبيحة على دكان عطّار، فلما نظر إليها قال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير: 5). « فقالت له المرأة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ (يس: 78).

ركبت سيدة بدينة جداً الأتوبيس فصاح أحد الراكبين متهكماً :

لم أعلم أن هذه السيارة مخصصة للفيلة ..

فردت عليه السيدة بهدوء: لا يا سيدي .. هذه السيارة كسفينة نوح .. تركبها الفيلة والحمير أيضاً ..

قال علي بن الجهم لامرأة يحبها:

هل تعلمين وراء الحب منزلة تدني إليك فإن الحب أقصاني؟

قالت: تأتي من باب الذهب، وأنشدت:

اجعل شفيعك منقوشاً تقدمه فلم يزل مدينا من ليس بالداني

عُرضت جارية على رجل، فقال لها:

ما أنت من شرطي!

فقالت: لكنك من شرطي .. فأعجبته فاشتراها.

دخلت إحدى العجائز على السلطان سليمان القانوني تشكو إليه جنوده الذين سرقوا مواشيها، بينما كانت نائمة فقال لها السلطان: كان عليك أن تسهري على مواشيك لا أن تنامي، فأجابته: ظننتك أنت ساهر يا سيدي فنمت مطمئنة!

نظر ابن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة فقال: ما هذه الجماعة؟ فقال: على امرأة تدل على النساء، فأتاها فقال لها: أبغي امرأة، قالت: صفها لي، قال: أريدها بكراً كثيّب أو ثيبا كبكر، حلوة من قريب، فخمة من بعيد، كانت في نعمة فأصابتها فاقة فمعها أدب النعمة وذل الحاجة، فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة، قالت: لقد أصبتها لك، قال: وأين هي؟ قالت في الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها.

أُعجب الأصمعي ببلاغة امرأة تكلمت عنده، فقال: ما أحسن كلامك! فقالت: وهل بقي بعد القرآن بلاغة؟ إن آية واحدة جمعت أمرين و نهيين و بشارتين فقال الأصمعي: بالله أسمعيني.

فقرأت قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: 7) فأعجبه علمها.

صعد عمر رضي الله عنه يوماً المنبر، وخطب في الناس، فطلب منهم ألا يغالوا في مهور النساء؛ لأن رسول الله ﷺ وأصحابه لم يزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم؟ لذلك أمرهم ألا يزيدوا في صداق المرأة على أربعمائة درهم. فلما نزل أمير المؤمنين من على المنبر، قالت له امرأة من قريش: يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم؟ قال: نعم. فقالت: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ (النساء: 20) فقال: اللهم غفرانك، كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فصعد المنبر، وقال: يا أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في مهور النساء، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب فليفعل.

التقى رجل اسمه سليم، وامرأة اسمها وديعة، في منزل أحد الأصدقاء فدخلت كلبة ظريفة وتقدمت إلى السيدة وديعة وصارت تلمس يدها فقال سليم للمرأة: إن هذه الكلبة، وديعة!!! فأجابته على الفور: وقلبها أيضاً، سليم.

مرّت امرأة فائقة الجمال برجل فقير بل معدم، فنظر إليها وقلبه ينفطر شغفا بجمالها، ثم تقدم منها ودار بينهما الحوار الآتي:

قال الرجل: ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾

قالت المرأة: ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾.

الرجل: ﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

المرأة: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

الرجل: ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾.

المرأة: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ ﴾.

الرجل: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾.

المرأة: ﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾.

الرجل: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ ﴾.

المرأة: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾.

عندها احمر وجه الرجل غيظا

وقال: «**ألا لعنة الله على نساء الأرض أجمعين**».

فأجابته المرأة: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾.

رأى مزيد خاتم ذهب في يد جارية، فقال: ناوليني خاتمك أذكرك به، قالت: هذا ذهب وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود فلعلك تعود.

قال رجل لرابعة: إني قد عصيت الله أفترينه يقبلني؟ قالت: ويحك، إنه يدعو المدبرين عنه، فكيف لا يقبل المقبلين إليه؟

قيل لعراقية ظريفة: ما بال شفتيك متشققة؟ فقالت: التين إذا حلا تشقق.

قيل لأعرابية: من أين معاشكم؟ قالت: لو لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش.

غضب المأمون يوماً على عبدالله بن طاهر فأراد طاهر أن يقصده فورد عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام، وفي حاشيته: يا موسى، فجعل يتأمله ولا يعلم معنى ذلك..
فقالت له جارية.. وكانت فطنة: أراد: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (القصص:٢٠) فتيقظ عن قصد المأمون.

قال ابن قتيبة: جاءتني جارية بهدية..
فقلت لها: قد علم مولاك أني لا أقبل الهدية..
قالت: ولم؟
قلت: أخشى أن يستمد مني علماً لأجل هديته.
فقالت: استمد الناس من رسول الله ﷺ أكثر..

وقد كان يقبل الهدية..

فقبلتها!! فكانت الجارية أفقه مني..

كان (شن) من دهاة العرب قال: لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجها،

فسار حتى لقي رجلاً يريدالقرية نفسها التي كان يقصدها (شن)، فصحبه .. فلما انطلقا .. قال شن لصاحبه:

- أتحملني أم أحملك؟

فقال الرجل: يا جاهل .. كيف يحمل الراكب الراكب؟

فسارا حتى رأيا زرعاً قد استحصد.

فقال شن: أترى هذا الزرع .. قد أكل أم لا..؟

فقال الرجل: يا جاهل .. أما تراه قائماً..؟

فمرا بجنازة فقال شن: أترى صاحبها حياً أم ميتاً؟

فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك ..أتراهم حملوا إلى القبور حياً ..؟

ثم سار به الرجل إلى منزله وكانت له ابنة تسمى (طبقة) فقص عليها القصة. فقالت: أما قوله .. أتحملني أم أحملك .. فقد أراد به أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا .. أما قوله .. أترى الزرع قد أكل أم لا .. فأراد به أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا. وأما قوله في الميت: فإنه أراد ..أترك هذا الميت عقباً حياً به ذكره أم لا ..؟

فتعجب الرجل من فطنة ابنته ثم خرج إلى شن فحادثه ثم أخبره بما فسرته ابنته له، فخطبها شن منه فزوجه إياها وحملها إلى أهله، ولما عرفوا عقلها وذكاءها .. قالوا: «وافق شنٌ طبقة».

كانت امرأة عجوز جالسة في بيتها وحدها، فلما أحست بأن في بيتها لص قالت وهي رافعة صوتها: يا نفسي لو تزوجت زوجاً، فألد ثلاثة بنين، فسميت أحدهم عمر، والآخر بكراً، والآخر صقراً، يا نفسي ما أصنع بهم وأخشى أن يموتوا فأندبهم فأقول: واعمراه، وابكراه، واصقراه، ورفعت صوتها عالياً، وكان لها جيران يسمون بهذه الأسماء فجاءوها مسرعين، فقالت: دونكم اللص. فأمسكوا به وأشبعوه ضرباً.